الأدب والفن في أسبوع

الأستاذ عباس خضر

ابن الحسب والنسب :

هذا هو اسم السرحية التي قدمتها أخيراً الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ، وهي للكاتبين الفرنسيين إميل أوجييه وجورج صاندو ، وقد ترجمها محمد عبد المنعم سعيد بك ، وأخرجها الأستاذ فتوح نشاطي المخرج بالفرقة . وتجري وقائع هذه السرحية في القرن التاسع عشر بفرنسا ، وهي تعرض ناحية من الصراع الاجتماعي بين طبقة الأشراف التي كان قد تضاءل نفوذها وانحسرت سيادتها عن المجتمع ، وبين الطبقة الوسطى التي يمثلها رجال الأعمال الذين وصلوا إلى الغنى بكدهم وارتقت بفضلهم التجارة والصناعة ، ويتجه سير السرحية إلى السخرية من طبقة الأشراف وانتصار طبقة العاملين عليهم ، فكان الغرض واضحاً ، كما أن المنهج طبيعي والعرض حلو ، بحيث يشعر المشاهد أنه يواجه موضوعاً مهماً ، وفي نفس الوقت يحس بالطرافة والمتعة الفنية . وقد استطاع المترجم أن ينقل تلك المقاصد حية نابضة ، بأسلوب لا بأس به ، غير أنه لم يراع السلامة اللغوية في بعض العبارات ، ولا تزال تطن في أذني كلمة «الماية» التي رددها أبطال السرحية في قولهم « الغرض بفائدة ستة في الماية » بفتح الميم الممدودة . .

وتتلخص السرحية في أن « المركيز دي بريل » تزوج من « أنطوانيت » ابنة « المسيو بواريه » التاجر الغني ، ويبدو هذا الزواج في المشهد الأول على أنه صفقة رضي بها المركيز المفلس ليستمتع بثروة صهره وبحياة الترف والتبطل التي اعتادها ، كما اغتبط بها المسيو بواريه ليستفيد من لقب المركيز وهو يطمع في أن يصل بهذه المصاهرة إلى عضوية الشيوخ ، وقد أنس من ابنته حبها للمركيز . ونعلم بغرض المركيز من هذه المصاهرة ، من حديث يجري بينه وبين صديقه « الدوق دي موغران » الذي يعمل كجندي في الجيش بأفريقية ، وقد قدم في إجازة ؛ أما المسيو بواريه فهو يعرب عن آماله لصديقه وشريكه « فردليه » وهو « عراب » أنطوانيت ، ويخيل إلى أن الجمهور لم يدرك معنى كلمة « عراب » والمقصود بها ما يسمى في العرف الكنسي بمصر « الشبين » الذي يكفل الطفل من وقت « تعميده » أي رعاه ويعطف عليه . والكلمة « عراب » لا تستقيم عربية ، ولعلها سريانية .

يلاحظ فردليه أن صديقه يغدق على المركيز المفلس المبذر المتبطل ، وأن المركيز يستهين بزوجته أنطوانيت ، فيحرض المسيو بواريه على أن يضع حداً لهذه الحال فيطلب من المركيز أن يبحث له عن عمل . وما إن يفاتح المركيز في ذلك حتى يأبى في تشمخ واشمئزاز ، وتسوء العلاقة بين الصهرين ، ويشير المسيو بواريه أن زوج ابنته يحقره ، فيقابله بالمثل ويعنف به ، ويرتب الأمور على أن يطرده من القصر . ومرة يلين المركيز في مناقشة صهره حتى يستدرجه إلى البوح له بأنه يطمع أن ينال بجاهه عضوية الشيوخ فيهزأ به وتزداد الحال بينهما سوءاً .

وفي خلال تلك الحوادث نرى الفتاة الوديعة أنطوانيت تتودد إلى زوجها الذي يستخف بها أولا ثم لا يلبث أن يشعر نحوها بشيء من الحب .

ثم يتحرج موقف المركيز عندما يكشف الجميع عن علاقته بمدام « دي موتجيه » بوساطة رسالة منها إلى المركيز تقع في يد المسيو بواريه فيفضها ويطلع أنطوانيت عليها فتكاد تسقط منها . ويهدد الرجل صهره برفع الأمر إلى القضاء ليفصل بينه وبين ابنته التي تحطمت سعادتها . فيغضب المركيز حنقاً على سمعة خليلته ، ولكنه يخضع لصهره فيرجوه ألا يفصل ويعده بأن يقطع علاقته بها وأن ينزل عند رغبته في مزاولة عمل ، وتدخل أنطوانيت وتخطف الرسالة من أبيها مطمئنة أنها صاحبة الحق وأنها هي التي ستقاضي زوجها . ويفاجأ المركيز بما يدهشه من قبل زوجته ، إذ تمزق الرسالة وتلقي بها . . ويتقدم إليها في احترام ، ولكنها تصده وتعلن أنها أرملة منذ اليوم . . ويحاول المركيز أن يستغفر زوجته . ويقبل عليها أخيراً وقد اعتزم مبارزة منافس له في « مدام دي موتجيه » فتتمنعه أنطوانيت فيأبى التخلف عن المبارزة

ولكنها تقول له إنها تعتبر عدوله عن المبارزة دليلا على حبه إياها ، فيدل ، فتطلب منه أن يذهب إلى المبارزة محافظة على كرامته وشرفه ، فيهم بالذهاب فترد إليه رسالة من منافسه بعدوله عن المبارزة .

وفي هذا الجو الصافي يعبر الركيز عن اقتناعه بضرورة أن يعمل عملا يعيش منه ، فيتقدم « فرديه » ويهدي إلى الركيز وزوجته قصر أجداد الركيز الذي كان قد اشتراه وما يحيط به من المزارع ليعمل الركيز في استغلالها ، وبذلك تنتهي المشاكل كلها حتى تطلع المسيو بواريه إلى عضوية الشيوخ .

وكنت أفضل أن يظل المسيو بواريه طامعاً في عضوية الشيوخ ، فإن الركيز لم يقدم شيئاً ، بل هم الذين كانوا له وصفحوا عنه وإن كانوا قد أذلوا كبرياءه ، ولكن لا يوجد ما يجعل الرجل يتنازل عما يطمح إليه .

وأبطال القصة سماتهم واضحة ما عدا اثنين : صديق الركيز ، وصديق المسيو بواريه ، وقد مثل الركيز « فاخر فاخر » ومثل المسيو بواريه « حسين رياض » وقد اندمج كل منهما في دوره اندماجاً كلياً حتى نقلانا إلى فرنسا في القرن التاسع عشر وكان حسين رياض يعبر بكل لفظة وكل حركة ، حتى حركة قدمه التي كان يرفعها في وجه الركيز احتقاراً له .

ومثلت أنطوانيت « أمينة رزق » فأجادت تمثيل الفتاة الرقيقة المتلطفة لزوجها ، ثم الفتاة الشموس التي تغضب لكرامتها وتمزج هذا الغضب بالنبل الذي يصنع نبل «الأشراف» ولكنها أسرفت في مظاهر الثورة بالبكاء والنحيب كدأبها ... ولست أدري أهذه الثورة الشديدة من امرأة فرنسية في أصل المسرحية أم حدث تعديل يمكن لأمينة رزق من هذا الذي عرفت به ...

وأجاد فؤاد فهيم في تمثيل الطاهي الذي يزدهي بمراقته في فن الطهي ، وكان هذا الدور من تمام السخرية من الأرستقراطية إذ ينتسب إليها الطاهي ويفخر بأجداده وماضيهم في المطابخ !

ومثل صديق الركيز « كمال حسين » ومثل فرديه « محمود رضا » والشخصية الأولى ماتة فلم تدل صفاتها ونصرفاتها على طبقة من الطبقتين ، والشخصية الثانية تافهة غير جديدة بما نسب إليها من التأثير في أنطوانيت ولعل ضعف تمثيل الشخصيتين أتى من ذلك ... .

يتكون الآن

□ استأنف لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عملها في نقل هذه الدائرة القيمة الفاخرة إلى العربية ، وهي تصدر في لندن بالانجليزية والفرنسية والألمانية . وكانت اللجنة قد انقطعت عن هذا العمل الجليل بعد أن ترجمت ثمانية مجلدات بها أكثر من ثلاثة آلاف مادة في شتى الموضوعات الإسلامية ، وقد بدأت نشاطها أخيراً بإصدار ستة أعداد من الرائد .

□ يشتغل الأستاذ محمود تيمور بك الآن بوضع مسرحية عنوانها «أنا ابن جلا» تدور حوادثها حول شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي

□ تعتزم وزارة المعارف إنشاء ناد مصري في باريس والحاق مركز ثقافي به ، على غرار النادي والمركز القائمين في لندن . وستقوم وزارتا المعارف والخارجية بتزويد هذا المركز الثقافي بالمؤلفات والإحصاءات والرسوم البيانية التي تحقق أغراضه وأهمها تعريف العالم الأجنبي ببلادنا .

□ أبدت هيئة اليونسكو رغبتها في أن يقام بمدارسها في باريس ، معرض الفن الشعبي المصري الذي تنظمه وزارة المعارف المصرية ، وأن ترعى هذا المعرض وتدعو إليه ، وقد وافقت وزارة المعارف على ذلك .

□ قال الدكتور يحيى الخشاب مدير المطبوعات في حديث صحفي : يجب أن يتجه أصحاب الأقلام إلى الأدباء الممتازين ، لكتابة القصة ونظم الأغاني ، فإن ذلك يرفع مستوى القلم المصري .

□ من التصرفات العجيبة لبعض زملائنا الصحفيين ، أن أديباً كتب بإحدى الصحف مقالاً جاء فيه ذكر كتاب « صور من الشرق » فحذف سكرتير التحرير اسم الكتاب من المقال ، فلما سأله الكاتب عن ذلك أجاب بأنه لا يتفق مع سياسة (الجورنال) فقال له الأديب ساخراً : ألا يكتب (الجورنال) شيئاً عن «عجباشا» ؟!

□ عهد إلى قسم خاص بكلية الطب في إعداد بحث واف عن طب ابن سينا وما جاء به زيادة على طب اليونان ، وذلك لمناسبة قرب الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

□ يشتغل الدكتور محمد هاشم وزير الدولة بوضع مشروع عام لإصلاح الإذاعة وبرامجها .

□ وضع الكاتب الفرنسي أندريه جيد مؤلفاً باسم كاتب من الكتاب المجهولين ، ليري رأي النقاد والقراء فيه غير متأثرين باسم المؤلف ، فكانت نتيجة التجربة أن أخفق الكتاب وأهله النقاد واكتفى بعض الصحف بمجرد الإشارة إلى ظهوره .

□ وضع الأستاذ كامل عجلان مسرحية باسم « سلطان الملاء » تدور حوادثها حول «العز بن عبد السلام» شيخ الإسلام في مصر لأول عهد المماليك . وسيمثلها قريبا الأزهر التمثيل الديني .

□ في صباح يوم من الأيام التي أحد « أولاد البلد » بالأستاذ شوقي أمين سكرتير سال رئيس المجمع اللغوي ، فقال الأول : «صباح الفل يا ميت نرجس» قال الأستاذ اللغوي رداً على التحية : « صباح الإدخر يا ماشة مرار ! » .

العربية بين الباكستان والبلاد العربية :

قدم إلى مصر في الأسبوع الماضي السيد شودري خليق الزمان (لا خالق الزمان كما ذكرت بعض الصحف) رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان . وزيارته لمصر جزء من برنامج رحلته في البلاد العربية التي يقوم بها لبث الدعوة إلى اتحاد إسلامي عام تتكتل فيه جميع البلاد الإسلامية .

وقد دعت الجالية الباكستانية في القاهرة يوم الأربعاء الماضي ، طائفة كبيرة من رجال الفكر والصحافة وعلماء الدين ، إلى الاجتماع بدارها حيث تحدث إليهم السيد خليق الزمان ، وقد بين في حديثه ضرورة تكتل المسلمين وتعاونهم على الأخذ بوسائل التقدم وأسباب القوة ، وأبرز فكرة « الجنسية الإسلامية » التي تقوم على الترابط والتواد بين كافة المسلمين في مختلف ديارهم ، ومما قاله أن بعض المفكرين يدعون إلى الاقتداء بالغرب ، وبعضهم يقول بالنظر إلى الشرق ، ولكني أقول : يجب أن ننظر إلى ذاتنا وإلى إلهنا .

وكان الزعيم الباكستاني يتحدث باللغة الأردية ، وهي لغة التخاطب السائدة في الهند والباكستان ، وترجم عنه إلى العربية الأستاذ الأعظمي عميد كلية اللغة العربية في كراتشي . وقد شعر الجميع بالتقارب الفكري والوجداني بينهم وبين الضيف الكبير الكريم ، على رغم الاختلاف في اللغة ، ولا شك أن لاتحاد اللغة شأناً كبيراً في جمع المتكلمين بها على المودة والأخوة ، وأنا أعتقد أن الباكستان تدين من أخواتها الإسلامية التي تتكلم العربية ، وتحقق هدف الاتحاد المنشود ، باتخاذها العربية لغة لها . ولا يقل هذا شأناً — إن لم يزد — عن الوسائل الأخرى من الدعوة المباشرة وغيرها .

ولا أريد أن أتقل على إخواننا الباكستانيين بتكرار ذلك الذي قلته في مناسبة سابقة ، وإنما أستبشر بما تنقله إلينا الأنباء عن حركة تعلم العربية في الباكستان ، وما تبذله الدولة في هذا السبيل ، وهي لا تزال في أوائل سنتها الثالثة ، وأستشرف إلى المستقبل القريب الذي نرى فيه الباكستان أمة مسلمة متعربة .

وقد لاحظت كثيراً من الكلمات العربية في خلال حديث السيد خليق الزمان ، ويقال إن اللغة الأردية تحتوي من الكلمات العربية ما يقدر بنحو خمسة وستين في المائة من مجموع ألفاظها ، ولذلك لم يجد الباكستانيون الذين أقبلوا على تعلم العربية صعوبة فيها ، وقد تقرر تعليم اللغة العربية في مراحل التعليم ابتداء من السنة الأولى الثانوية . وهناك « الجمعية العربية العامة » التي يرعاها وزير المعارف ويرأسها شيخ الإسلام ، ولهذه الجمعية سنة طريفة في الحث على التخاطب باللغة العربية ، فهي تفرض على من يتحدث في دارها أن يدفع عن كل لفظة غير عربية ما يعادل خمسة مليمات مصرية . .

وقد جرى حديث بيني وبين باكستاني كبير في موضوع نشر اللغة العربية في الباكستان ، قلت له : لماذا لا تكثرون من بعثات الطلاب إلى مصر ، ليتعلموا في معاهدها باللغة العربية ، ويكتسبون القدرة على هذه اللغة من البيئة المصرية ؟ وجهت هذا السؤال وأنا غافل عن خرق واسع فيه . . قال : إن طلابنا الموجودين في مصر يشكون من اللغة العامية التي تتحدثون بها لا في الأسواق فحسب ، بل كذلك في دور التعليم ومجالس المتعلمين فكيف يكتسبون القدرة على الحديث بالعربية من هذه البيئة ؟

سمعت ذلك فلم أستطع إلا أن أهز رأسي آسفاً على هذا الحال وذكرت ما وقع لأحد المستشرقين ، وقد جاء إلى مصر لأول مرة بعد أن درس اللغة العربية في بلده هو وزوجته حتى أصبحا يتخاطبان بها ، فلما نزل بأحد الفنادق بالقاهرة وجاءه الخادم ، قال له : أريد طعاماً . فانصرف الخادم ثم عاد يحمل إليه (طعمية) فقال له : ماهذا ..؟ أريد شواء . قال خادم الفندق : (مش قلت إنك عاوز طعمية !) فهمت الرجل .. وكتب إلى زوجته يقول : لقد نزلت بالقاهرة زعيمة المواسم العربية ، فلم أجد بها من يتحدث باللغة العربية غير زوجك العزيز !

والعجيب أو المخجل أن كثيراً من « المثقفين » المصريين الذين يجتمعون بهؤلاء الأجانب المتعربين ، لا يبادلونهم الخطاب بالعربية ، بل يحدثونهم بالعامية فلا يكادون يفهمون منهم شيئاً ، ويتضايقون من المجالس ، مجالس المتعلمين ، التي يدور فيها الحديث بالعامية .

وأعود إلى الموضوع ، فأقول مع ذلك : إن تفشي عاميتنا في